بامكان القوة النظامية بعد أن يشنتها العدو ان تقوم بحرب العصابات ، وعندما تعيد تجمعها تعود الى حرب الحركة (اي الحرب النظامية) كما فعل جيش الطريق الثامن (في حرب التحرير الصينية) . »

ويمكن علاوة على ذلك الاستشهاد بما حدث في روسيا في حزيران ١٩٤٤ عندما استطاع رجال العصابات السوفييت ــ الذين كانوا في الاساس جزءا من القوات النظامية ــ ان يشلوا مواصلات الالمان بعد اكثر من عشرة آلاف غارة شنوها على الطرق والسكك الحديدية ومحطات الراديو ومقرات القيادة وقوافل التموين، وكان هؤلاء الانصار يعملون في نطاق فرق كاملة كالجيوش النظامية .

اما في الاردن ، فالعقدة السائدة كانت عقدة الحدود ، مما يفسر تردد الملك حسين ثلاث مرات قبل ان يأمر جيشه بالانسحاب نهائيا من الضفة الغربية . وطبعا لم يتحول الجيش المنسحب الى القوة التي تحدث عنها صن تسو ، اذ لم يكن ذلك هو الدور المرسوم له . ولذلك فان انسحاب الجيش بالاضافة الى غياب أية قوة مقاومة اخرى ، وضع حركة المقاومة بالضفة الغربية في طريق مسدود ، وخسرت منظمات المقاومة المئات من رجالها وهي تحاول غرس جذور للمقاومة ضد الاحتلال في أرض كان النظام الاردني قد سبق القوات الاسرائيلية في كيلها حتى لا ينبت فيها رجال يحملون السلاح . يقول توم باري في كتابه عن المقاومة الارلندية ضد الاستعمار البريطاني في العشرينات(٢٠): « في مواجهة ١٢،٦٠٠ جندي بريطاني في منطقة كورك وقفت قوة ارلندية لم يتجاوز عدد أفرادها في اي وقت من الأوقات عن ٣١٠ مسلحين ، اي كان على كل ثائر ارلندي ان يواجه حوالي اربعين جنديا . فاذا برز التساؤل نتيجة لذلك لماذا لم يستطع البريطانيون بقوتهم الكبيرة ان يقضوا على الوحدات الارلندية الضئيلة العدد ، فالجواب على ذلك يجب ان يكون : النضال لم يكن بين الجيش البريطاني وبين قوة ارلندية صغيرة ، اذ لو كان الامر كذلك لابيدت القوة الارلندية في أيام ، **ولكن لأن النضال كان حربا شاملة بين الجيش البريطاني والشعب الارلندي ، فالمشكلة التي جابهها الجيش البريطاني لم تكن كيف يمكنه ان يحطم وحدات الثورة الارلندية ، وانما كيف يمكن تدمير مقاومة شعب .** »

ولكن لو افترضنا جدلا ان الاحتلال البريطاني لارلندا أتى في اعقاب نظام حكم ارلندي بذل كل جهوده لتحطيم ارادة الشعب، ومنعه عن المقاومة في حالة وقوعه تحت الاحتلال، فهل كان ممكنا عند ذلك ان يقاوم الشعب الارلندي بريطانيا المستعمرة بنفس القوة والعنف والجراة التي قاوم بها فعلا ؟ اذا كانت المقاومة الفلسطينية لم تنجح حتى اليوم في الضفة الغربية ، فذلك لانها ظلت مقاومة مناضلين معدودين لجيش محتل كبير ، وليس مقاومة شعب كامل له. فاذا تساءل أحدهم لماذا لم يدرس النظام الاردني التجارب التاريخية ، فسيجد الرد على تساؤله في كتاب المفكر الصيني المعاصر هو لنغ(٢١) عن التقاليد الديمقراطية في جيش التحرير الصيني الشعبي . فان هو لنغ سخر من محاولات امريكا المحمومة لدراسة اساليب حروب التحرير الشعبية والاقتباس منها من اجل التوصل الى افضل الطرق لمجابهتها وبالتالي اخمادها . فقد تساءل هو لنغ : كيف يمكن لجيش نظام استعماري غارق في المفاهيم الرجعية ان يفهم طبيعة قوة شعبية تناضل في سبيل التحرر ؟ كيف يمكن للمرتزقة او المجندين ارغاما ان يقاتلوا حسب اساليب الثوار الفيتناميين ؟ انه لتناقض ذاتي يثير السخرية ويجلب الرثاء . ولدينا مثال من التاريخ القريب على اخفاق الانظمة اليمينية في اعتناق أساليب الثورات الشعبية . فقد اصر اوجو كوو ، قائد الحركة الانفصالية في نيجيريا ، على اتباع استراتيجية الجبهات الثابتة ، اي الحرب النظامية ، ضد الحكومة المركزية ، لان مشاق حرب الانصار واهوالها تتطلب وجود حوافز لدى المقاتلين وقادتهم لم تكن لديه . ولذا فعندما انهارت